

إدغار معلوف: آخر الشهابيين إلى التقاعد

سياسة | غسان سعود | الجمعة 12 نيسان 2013

كلما أوقد الشماس بخوراً في قداس يحضره النائب إدغار معلوف أُغمي على النائب المتنيّ جراء حساسيته من البخور، وغاب عن الوعيّ، فيهرع مرافقوه لحمله إلى خارج الكنيسة. رغم ذلك، يدأب معلوف على حضور القداديس. لا يزال جنرال الشعبة الثانية عام 2013 هو نفسه الرجل العائد من منفاه السويسري عام 2005. لم تغنه النيابة أو تضف إلى شهرته شهرة أو تغيّر طباعه. أبقى نفسه بعيداً عن تجاذبات غالبية النواب العونيين بين بعضهم البعض، ومزايداتهم الخدمية وتأجيجهم الخلافات في تيارهم. طرأ هنا تغيير وحيد: ازداد عدد من يسمّونه، على غرار بنات العماد ميشال عون الثلاث، Le grand papa. غيّر قرار النفي السوريّ لمعلوف خمسة عشر عاماً حياته كلها: يعيش في الرابية، أما أسرته، ففي سويسرا، يزورها حين تسنح له الفرص. في رأيه «على سوريا أن تكون في سوريا ولبنان في لبنان»، رداً على الأسئلة الأمنية والسياسية والحكومية الكثيرة. يخالف كثيرين: «لن يغيّر سقوط النظام في سوريا، لو سقط، شيئاً في المعادلة الداخلية.

فالذين ينتخبون التيار الوطني الحر في عكار والبترون وجبيل وكسروان والمتن وبعبدا وعاليه وجزين وزحلة وغيرها لا ينتخبونه لأن علاقته وطيدة بالنظام السوري. أما حزب الله، فسيزداد تماسكه الشعبيّ، وتشير مختلف الدراسات الجدية إلى فك ارتباطه تسليحاً وتدريباً مع سوريا». في رأي معلوف، فإن خارطة الطريق الأميركية الرئيسية للتخلص من حزب الله تكمن في جره إلى الزواريب اللبنانية، وإدخال اللبنانيين في قتال أهلي جديد. «الولايات المتحدة تحبّنا. أوافق السفارة الأميركية في بيروت القول، لكنها تحبنا بدرجة 15 أو 16 على عشرين، فيما تتجاوز درجة حبها لإسرائيل العشرين على عشرين». يتذكر كيف انتقد الرئيس الأميركي رونالد ريغان اسرائيل مرة، وكان هو يتابع إحدى الدورات العسكرية في الولايات المتحدة، فترنحت البورصة الأميركية من جراء الضغط اليهودي، واكفهرت البلاد حتى اضطر قاهر الاتحاد السوفياتي إلى الاعتذار. في دورة أميركية أخرى التقى مجموعة ضباط سعوديين، كان بينهم الأمير خالد بن سلطان: «كدت أجن حين تبينت فارق الأجور بين الضباط ذوي الرتبة نفسها، من جراء الفوارق العائلية بين بعضهم البعض. وحين عدنا إلى لبنان بعد 2005، اكتشفت أن الماكينة السعودية نفسها تتحكم في الإدارة اللبنانية».

يتنقل معلوف بين صالون منزله ومكتبه المطل من بعيد على البحر، ويعود جازماً: «لا، لم نكن في منفانا نتخيل أن الدولة تسير من دون محاضر رسمية، ومن دون حسابات وسجلات وقطع حسابات». يجزم بأن مافيات «بدأت تتفكك، أو هي في طور التفكك، في عدة وزارات. وعودة تيار المستقبل إلى السلطة يمكن أن تضخ المعنويات لمن نجا حتى الآن». هو مقتنع بأن الرئيس رفيق الحريري

«عمل كل ما في وسعه لإفلاس البلد من أجل إمرار التوطين». وأكثر «ما يقرفني» هو تحويل البلد إلى كاباريه. يوافق على أن السياحة الخليجية كانت رائجة قبل أن يفكر الحريري في العودة إلى لبنان من السعودية، لكنها كانت، في رأيه، «سياحة من نوع آخر». فبعد استياء الأوروبيين، في اعتقاده، من «ممارسات بعض الخليجيين وإضاءة الصحافة الغربية على فضائحهم، باركت تلك العواصم تحويلهم إلى بيروت». السياحة الجدية بالنسبة إلى معلوف تكون بإنشاء مشاريع تزلج جدية وبناء الدولة شراكة حقيقية مع المكاتب السياحية الكبيرة، سواء في روسيا أو الصين أو أوروبا، حيث يكدّ العامل أحد عشر شهراً ليصرف في شهر إجازته كل ما جمعه.

ومن الإجازات السنوية إلى سن التقاعد. قطع معلوف عدة أشهر من عامه التاسع والسبعين. يذكر أن المعدل العالمي لسن الوفاة هو 74 عاماً، معيداً الفضل إلى كرم «أبو عيسى» في كل يوم إضافي يعيشه. أما النيابة، فـ«خلصنا منها». يفضّل لمّ شمل أسرته مجدداً. وحول كثرة المرشحين العونيين لخلافته، يقسم عفوياً بـ«شرفي العسكري» إنه لم يسمِّ ابن شقيقه إدغار معلوف جونيور، الذي يكاد يكون المرشح العونيّ الأبرز عن المقعد الكاثوليكي. يقول إن «ادي» ينشط منذ عقدين في صفوف التيار الوطني الحر، تطوع في أنصار الجيش حين استدعت حاجة المؤسسة العسكرية ذلك نهاية الثمانينيات، ويشغل منذ سنوات وظيفة متواضعة في كازينو لبنان، وهو ابن شهيد في الجيش اللبناني. ويضيف، أخيراً، إنه «شاب مهذب، لائق سياسياً، وأسرته كما الناشطون في التيار يحبونه».

كان معلوف رئيس قسم الأمن العسكري في الشعبة الثانية أيام الرئيس فؤاد شهاب. يقول إن رئيس الفرع المدني في الشعبة نفسها سامي الخطيب أصيب أخيراً بالألزهايمر. غابي لحود، رئيس الشعبة بعد أنطون سعد الذي توفي عام 1977، فضل الهجرة إلى إسبانيا. رئيس فرع إسرائيل عباس حمدان يمضي غالبية وقته في فرنسا. رئيس الشعبة في الشمال سامي الشيخة توفي. رئيس الشعبة في الجنوب جورج حروق، ومستشار الرئيس فؤاد شهاب القانوني أحمد الحاج، ورئيس قسم المعنويات جان ناصيف، وغيرهم، باتوا من الماضي. تطوع معلوف في المدرسة الحربية عام 1953، قبل العماد ميشال عون بعامين. ورغم أنه يكبره بصفين بدأت صداقتهما في تلك المدرسة، واشتدت بعد التحاقهما معاً بفوج المدفعية. وبعد انتقال معلوف إلى رئاسة القسم العسكري في الشعبة الثانية، تعين عليه استدعاء عون على نحو شبه أسبوعي لسؤاله عن مواقفه السياسية وحركته الميدانية. «كان دائم الانتفاض، يشطح في اعتراضاته ويتكلم في السياسة». لم توفر التشكيلات الشهابيّة يوماً ابن الأسرة الكتلوية، لكن صداقتهما استمرت. يقارن معلوف حماسة بعض العونيين ليأخذ الجنرال بوجهة نظرهم اليوم، بحماسته في شبابه لتأخذ قيادته العسكرية بوجهة نظره، ليخلص إلى أن الشبه بين عون وشبابه أكثر مما يتخيل كثيرون. وتلك مشكلة خصوم التيار الرئيسية.



